

الأسرة المسلمة في الغرب

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ونستهديه، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، أما بعد

أيها المسلمون: إن الإسلام ينظر إلى الأسرة على أنها الأساس في بناء المجتمع وإستقراره، فالأسرة كما نعلم هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، إذا صلحت صلح المجتمع بأسره، وإن فسدت فسد كله، والأسرة أساس الحياة السعيدة، ولا توجد في الحياة سعادة تفوق سعادة الإنسان في بيته و أسرته، ولا شقاء يعدل شقاءه مع أهله.. فمن كان في بيته سعيدا عاش مع الناس سعيدا، ومن كان في بيته منغصا يفقد الهدوء النفسي عاش مع الناس سيئ الخلق متبرما بهم، ضيق الصدر في معاملتهم.

أيها الأخوة المسلمون: لذلك فقد أحاط الإسلام الأسرة بسياج من النظم والتشريعات حدد بموجبها الحقوق والواجبات لكل من الزوجين والأبناء ذكورا وإناثا، ووزعت الاختصاصات بما يتفق مع القدرة الجسمية والحاجة النفسية لكل فرد. فهذه النظم والتشريعات تجمع ولا تفرق، تبني ولا تهدم، تُصلح ولا تُفسد، وبذلك يتحقق للمجتمع المسلم الطمأنينة والاستقرار والبعد عن التفكك والانحيار.

لقد إهتم الإسلام إهتماماً لا مزيد عليه بشأن الأسرة وأسس تكوينها، وأسباب دوام ترابطها، لتبقى الأسرة المسلمة شامخة يسودها الوئام، وترفرف عليها المحبة، وتتلاقى فيها مشاعر المودة والرحمة، قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)، ولتعيش الأسرة المسلمة وحدة شعور، ووحدة عواطف قال الله تعالى: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ). المرأة لباس للرجل و الرجل لباس للمرأة. لقد بيّن القرآن للأزواج أن كلا منهما ضروري للآخر ومتمم له: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) ولا يتصور أن تقوم حياة إنسانية على استقامة إذا هُدمت الأسرة.

أيها المسلمون: إن الأسرة المسلمة تقوم على أسس وثوابت: من هذه الثوابت:

أولاً: التفاهم الأسري، وممارسة الأعمال بالتشاور، وأن تُبنى الحياة على التراضي:

إسمع لهذا البيان القرآني البليغ وهو يجلي هذه المبادئ السامية، فعند رضاع الأولاد وفطامهم ولو بعد الانفصال يقول الله تعالى: (وَأَوْلَادَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) إلى قوله عز وجل: (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنِ تِرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا). إذا كان هذا التشاور والتفاهم حال الانفصال، فكيف والأسرة قائمة، وكل من الزوجين محتاج للآخر. إنها قاعدة أساسية لا يمكن للأسرة المسلمة أن تغفل عنها. أما الاستبداد بالرأي، وعدم إعطاء قيمة لأي فرد من الأسرة فإنه معول هدم في البيت المسلم.

ثانياً: من الثوابت لدى الأسرة المسلمة: رعاية واحترام الحقوق بين الزوجين:

من خلال المعاشرة بالمعروف، وفتح آفاق واسعة من المشاعر الفياضة، ليتدفق نبع المحبة وتقوى الرابطة، وهنا يجد الأزواج السكن النفسي الذي نصّ عليه القرآن. وبمثل هذا الرسوخ تُؤمّن الأسرة من التصدّع، وإذا نشأ خلاف فإن المحبة الصادقة والمودة ستذيبه. إن الحكيم الخبير علم أن النفس قد تثور فيها أحياناً وفي أجواء الخلاف مشاعر الكراهية، فيجد الشيطان ضالته المنشودة لهدم كيان الأسرة، فكان التوجيه القرآني لتتقية المشاعر وليعود للحياة صفاؤها، وللأسرة بهاؤها قول الله عز وجل: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)، قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "أي فعسى أن يكون صبركم في إمساكن مع الكراهية فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة". انتهى..

فقد يجني الجاهل على نفسه، ويدمر حياته بطوعه واختياره، حين يستبدل المحبة والمودة والرحمة بالعناد والتحدي، وهذا نذير شؤم، وبداية تصدّع، ولا يدمر الأسرة شيء كما يدمرها العناد والتحدي. فالخلافات الصغيرة تصبح بالعناد كبيرة، والخلافات الكبيرة تغدو باللين والصبر صغيرة. كم

نسمع ونشاهد تصدّع أسر وهي في مهدها ولمّا يكتمل بناؤها، نتيجة لهذه الاعتبارات، وقد قرر كثير من الباحثين أن التفكك الأسري سببٌ رئيس في انحراف الأهداف والسلوك، ولهذا فإن الأسرة المسلمة مطالبة بحماية نفسها قبل حدوث الشقاق، ولا يخفى أن الحياة لا تصفو دائماً، بل هي معرضة للسراء والضراء.

ثالثاً: من الثوابت والأسس المهمة والتي يجب أن تدركها الأسرة المسلمة: أن لها في هذه الحياة وظيفة ورسالة عظيمة: أهمها: إقامة حدود الله، وتطبيق شرعه ومرضاته، بتأسيس البيت المسلم، قال الله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا اقْتَدَتْ بِهِ).

رابعاً: إعداد النسل المسلم وتربيته من وظائف الأسرة المسلمة: بل هي المدرسة الأولى التي يتلقى الولد في جنباتها أصول عقيدته، ومبادئ إسلامه، وقيمه وتعاليمه، ولا يقوم مقامها شيء، فالطفل الذي يرضع حليب أمه، ويرضع معه حنانها ودفاها، لن يساويه ذلك الطفل الذي يعيش بين أكناف المربيات ورياض الأطفال دون عطف ولا رعاية ولا حنان ولا مشاعر. الأسرة المسلمة مسؤولة أمام الله عن تنشئة الأبناء على الإسلام، وواجبها ودورها في بلاد الغرب ألزم وأوكد، فهل تمارس أسرنا في هذه البلاد اليوم رسالتها التربوية؟ هل هي من القوة والمكانة والرسوخ مما يؤهلها لمقاومة الانحراف، و الإنحلال و سوء الأخلاق العلمنة والتغريب؟! هل يجلس أفراد الأسرة على موائد القرآن أم على مشاهد العصيان؟ هل يتلقى أولادنا في بيوتنا التذكرة النافعة والعظة الرشيدة والآداب الرفيعة؟. إن أي تقصير أو إخفاق في قيام الأسرة بدورها التربوي ستكون له عواقب وخيمة على سلوك الأبناء والبنات، ومن ثم على المجتمع في بنائه وفكره وأمنه، وبذلك ينشأ جيل يتسمى باسم الإسلام ولا يعرف من افسلام إل اسمه و لا من المصحف إل رسمه هذا إن كان فيه بقية من خير.

خامساً: من الأهداف الرئيسية لأسرتك أيها المسلم: إقامة رابطة قوية بين أبناء الأسرة والمسجد:

ذلك أن المسجد في حياة المسلم جوهرية وأساس، والتردد على المسجد عمل تربوي جليل القدر عميق الأثر، يغرس في النفوس الفضائل والقيم

والآداب. لقد استطاعت الأسرة المسلمة التي قامت على الإيمان بالله، وتمسكت بأخلاق الإسلام، وتعلقت بالمساجد، استطاعت بنور القرآن أن تخرّج للحياة أبطالاً شجعاناً، وعلماء أفاضاً، وعباداً زهاداً، وقادة مخلصين، ورجالاً صالحين، ونساء عابدات، كتبوا صفحة تأريخ مجيدة في حياة المسلمين. وهي اليوم تواجه حملة شرسة لزعزعة أركانها، وإلغاء كيانها، بفكّ رباط الأسرة ونبذ قيمها، وإفساد أخلاق المرأة، والدعوة إلى العهر والاختلاط والإباحية. وإذا تحطمت الأسرة المسلمة، هل يبقى ثمة أمة؟! وإن بقيت فهل ستكون إلا على هامش الحياة؟

أيها المسلمون: لقد تفككت عرى الأسرة المسلمة، وأصبحنا نرى آثارها بادية ظاهرة بين أبناء الجالية المسلمة في أيرلندا وكذلك في بقية البلدان الأوروبية بين الجاليات المسلمة، نتيجة السقوط في حماة التقليد الأعمى للغرب و طريقة حياة الغربيين، والانسحاق وراء الإغراء والإباحية والتقليد العمى في طريقة العيش والحياة المترفة التي يعيشها الغربيون، فكثرت بين اسرنا حالات الطلاق، وتدمرت الحياة، وضاع الأبناء نتيجة لذلك بين أم تخلت و أب منشغل و مجتمع لايرحم وحياة ماجية تطحن النفس و تدمر الروح، وتبع ذلك انطلاق محموم وراء الشهوات البهيمية. ومن المؤلم حقاً أن بعض الأسر قد تخلت عن دورها في مهمة التربية العقدية والفكرية، وأسلمت أولادها لأجهزة البث الفضائي وغيرها، تصنع ما يحلو لها من هدم ومكر، وإنك لتحزن لذلك الدفق الهائل من السموم عبر الفضائيات لمسح الأسرة المسلمة، وهدم نظامها بالدعوة إلى تحرير المرأة والتمرد على قوامة الرجل، ورفض بل نزع الحجاب، والنكوص على الأعقاب بتزيين العري والاختلاط، ومحاربة القيم، ثم لوثوا العقول وأفسدوا القلوب بعلاقات مشينة سموها صداقة وزمالة.

أيها المسلمون: إن بناء الأسرة على الوجه السليم الرشيد ليس أمراً سهلاً في أوقاتنا المعاصرة، وإن كان أمر ذلك أيسر في ديار الإسلام فإنه ولا شك في هذه الديار أمر ليس بالسهل و لايسير. بل هو واجب جليل يحتاج إلى إعداد واستعداد، كما أن الحياة الزوجية ليست لهواً ولعباً، وليست مجرد تسلية واستمتاع، بل هي تبعات ومسؤوليات وواجبات، من تعرض لها دون صلاح أو قدرة كان جاهلاً غافلاً عن حكمة التشريع الإلهي، ومن أساء استعمالها أو ضيّع عامداً حقوقها استحق غضب الله

وعقابه، وإنها أمانة و إنها يوم القيامة خزي وندامة. ولذلك ينبغي أن يكون الإنسان صالحاً لهذه الحياة، قادراً على النهوض بتبعاتها، قال الله تعالى: (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ).

إن من الضروري جداً بل من الأسس والثوابت أن يعلم الزوجان مقاصد الزواج، فحين تنشأ الأسرة على قاعدة هشة من الجهل بمقاصد الزواج السامية، والحقوق الشرعية المتبادلة، بحيث يكون الزوجان لم يُهيأ ولم ينتهياً لتحمل مسؤولية الحياة وتبعاتها، فيكون السقوط السريع والمريع عند أول عقبة في دروب الحياة. ذلك أنهم يظنون أنها حياة تمتع دائم لا ينقطع، وسرور لا يُنغص، وبهجة لا تنطفئ، مع أحلام وردية، وأمان ساحرة. لهذا نرى هذا السيل الجارف المحزن من حالات الطلاق بلا أسباب مقنعة أو خلافات جوهرية، بل تُذهل لسماع قذائف من ألفاظ تحمل في طياتها طلاقاً بائناً، لا تُراعى فيه ضوابط الشرع، وهكذا يُكسر هذا الكيان الصغير الجميل، والبيت الذي كانت تظله سحائب المحبة والوئام، يُكسر بمعاول الجهل والغرور، والمكابرة والعناد، وهوج التفكير وخطله. وما أفظعها من خاتمة مروعة موجعة، هي قرّة عين الشيطان، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول نعم أنت فيلتزمه" أخرجه مسلم. والشيطان حين يفلح في فك روابط الأسرة، لا يهدم بيتاً واحداً، ولا يضع شراً محدوداً، إنما يوقع الأمة جمعاء في شر بعيد المدى، ذلك أن الأمة التي يقوم بناؤها على لبنات ضعيفة، من أسر مخلخلة، وأفراد مُشردين، وأبناء يتامى، لن تحقق نصراً ولن تبلغ عزاً، بل تتداعى عليها الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

نسأل الله جل وتعالى أن يرينا الحق حقاً ...

نفعني الله وإياكم بهدي

الخطبة الثانية:

الحمد لله ...

أما بعد: أيها المسلمون: وأيضاً من الثوابت المهمة في حياة الأسرة المسلمة هو:
سادساً: القوامة:

إن حياة الأسرة المسلمة حياة عمل، وللحياة أعباؤها وتكاليفها، لذا فهي تحتاج إلى ربّان يوجه حركتها ويشرف على سلامتها، هذه القيادة يسميها القرآن قِوامة، وهي من نصيب الرجل، والرئاسة ليست للاستعباد والتسخير، وإنما هي رئاسة إشراف ورعاية، لا تعني إلغاء شخصية الزوجة وإهدار إرادتها أو طمس معالم المودة والألفة في الأسرة. يقول صاحب الظلال رحمه الله: "إن هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني، ولا إلغاء وضعها المدني، وإنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة وصيانتها وحمايتها". انتهى ...

لقد هيا الله المرأة لوظائف وأحالتها لأدائها، وهياً الرجل لوظائف وأحاله لأدائها، بحكم التكوين الجسدي والنفسي والاجتماعي، فإذا تحولت القوامة من الرجل إلى المرأة كُلفت المرأة ما لا تطيق، وانحرفت الأسرة عن مسارها. وفي المقابل فإن سلب الرجل قوامته على زوجته وأسرته يعرّض الأسرة لمتاعب ومشكلات. والذين ينادون بسلب الرجل قوامته، إنما هم أصحاب هوى وهوس، وهم سفهاء لأنهم يتحدثون شرع الله تبارك وتعالى. يقول أيضاً صاحب الظلال رحمه الله: "لعل من الدلائل ما أصاب الحياة البشرية من تخبط وفساد ومن تدهور وانهيار، ومن تهديد بالدمار والبوار في كل مرة خولفت فيها هذه القاعدة فاهتزت سلطة القوامة في الأسرة، واختلطت معالمها، أو شذت عن قاعدتها الفطرية الأصلية". انتهى

إن القوامة تعني أن رب الأسرة مسؤول عن كل ما يوفر سلامة الأبدان والأديان، يجنب الأسرة مصارع السوء، يجنب الأسرة طرق الانحراف، يعطي من نفسه القدوة المثلى في الوقوف عند حدود الله وتعظيم شعائره، مع سعة صدر وحسن خلق، فهو الراعي الذي يحمي الحمى.

رب الأسرة مطالب بالتوازن بين مهام العمل والعبادة والتفرغ لمهام الأسرة، ليعطي كل ذي حق حقه، حق الزوجة، حق الأولاد، رعاية الأسرة، التربية. وإذا كان رب الأسرة عاجزاً عن توفير الوقت الذي يجتمع فيه مع نفسه أو بأفراد أسرته، يوجههم، يحدثهم، يستمع إليهم، يربيهم، يهذب أخلاقهم، إذا كان عاجزاً عن توفير هذا الوقت فسيندم ولات حين مندم. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله ﷺ: "يا عبد الله بن عمرو، بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل، فلا تفعل، فإن لجسدك عليك حقاً، ولعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، صم وأفطر، صم من كل شهر ثلاثة أيام، فذلك صوم الدهر" أخرجه البخاري ومسلم. لا يصلح أن يكون قيّم الأسرة ذلك الذي يكذب في عمله في الصباح وفي الظهر مستلق على فراشه، ثم ينطلق في المساء في لهو أو دنيا ولا يعود إلا مكدود الجسم، مهدود الفكر، وبهذا يفقد القدرة على تربية الأولاد ويزداد الخطب حين تخرج المرأة وتترك بيتها وراء ظهرها تخرج للتسوق و المنتزهات وتترك وراءها البيت حديقة مهجورة، على بعض أشجارها طيور يتيمة محرومة من الأب والأم، وأصبحت بعض البيوت محطة استراحة للزوجين، أما الأبناء فعلاقتهم بالأباء علاقة حسن الجوار. إن القوامة الفعالة تعني القدوة في الإيمان والاستقامة. إن القوامة ليست مجرد توفير طعام وشراب، وملبس ومسكن، إنها مسؤولية الاضطلاع بشؤون أسرة كاملة، تبدأ من الاهتمام بشؤون شريكة الحياة، أخلاقها وسلوكها، ثم لا تلبث أن تشمل الأبناء والبنات، إنها مسؤولية صنع أبناء الأمة وبناتها، وإعطاء الأمة انتماءها بالحفاظ على كيان الأسرة. القوامة ليست لهواً وعبثاً، ونوماً متواصلاً، إنما هي عمل وتخطيط وجهد متواصل في مملكة البيت للمحافظة على أمنه واستقراره.

إن واجب قيّم الأسرة، أن يغرس في نفوس أفراد أسرته الدين والمثل السامية، وأن ينمّي فيهم حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى تتكون تلك الأسرة المسلمة المنشودة.